الحجاج البلاغي مفهومه وتطبيقاته

م.د عدنان داود عبد الحسن
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد/ الرصافة الثالثة
Adnandawood422@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعدّ الحِجاج مفهوما ثقافيا، يسير في أواصر منتظمة مع البيئة المحيطة المتكلم والسامع، وهذا ما دعا إلى تجديد المفهوم، وضبط التقنيات، وقد ضمّ هذا البحث تقنيات الحجاج البلاغي عند بيرلمان وتكتيكاه مفهوما وتطبيقا، على نصوص شعرية، محاولة لرصد الملامح الحجاجية فيها، ولا يخفى أنّ النص الشعري ذو طبيعة تأثيرية بامتياز، مما يسهم بشكل فاعل استيعاب تقنيات الحجاج البلاغي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج البلاغي – تقنيات – بيرلمان – إقناع

المقدمة:

أخذ التعامل بين الأفراد منحى تحاوريا في ظلّ المناخ الآيدلوجي الذي وفّرته السياسات الديمقراطية، والنزعات الليبرالية، ممّا حتّم على ذوي الأفكار أن يسوّقوا أفكارهم بمزيد من وسائل الجذب، والاستمالة، فكان لهذا المنعطف الفكري الاجتماعي الأثر الفاعل إعادة إحياء موضوعة الحجاج، وظهور نظريات جديدة تحاول الكشف عن أهم وسائل الجذب، والإقناع في مختلف الخطابات؛ لتكون أنماطا واضحة المعالم يمكن من خلالها صناعة الخطاب الحجاجي ممكناً.

وتسعى هذه الدراسة إلى استثمار معطيات النظرية الحجاجية في الكشف عن أهم وسائل الجذب، والاستمالة في نصوص شعرية مختارة من مجموعة الدكتور الشاعر مشتاق عباس معن الموسومة بـ(المجموعة الشعرية الورقية غير الكاملة)، وقد جاءت الدراسة في مبحثين: الأول، تمهيد نظري يكشف عن مفهوم الحجاج وأصوله المعرفية، ويبين أنماطه، والثاني دراسة تطبيقية في شعر الدكتور مشتاق عباس معن، تقوم على معطيات نظرية الحجاج البلاغي لـ (بيرلمان و تيكيتاه)

المبحث الأول: الحجاج: المفهوم والأصول المعرفية

ربما سمعت نصيحة من أحدهم فمرّت بخاطرك مرورًا خفيفًا، لم يترتّبْ عليها أثر إيجابي في مدى استجابتك لمضامينها، وقد تسمع نصيحة أخرى تستوقفك، وتنزل في نفسك منزلًا حسنًا، فتسلم فكرك لها، وتشعر أنها الصواب الذي لا مناص من اتباعه، وإذا وقفت

عند كلا النصيحتين باحثا عن السبب الذي جعلك تميل، وتكاد تقنع بإحداهما، ولا تحتفي بالأخرى، فأنت حينئذ تكون قد تساءلت عن وسائل الإثارة في النصيحة التي قرعت سمعك، وشغلت فؤادك، وبهذا تكون قد بدأت بالعتبة الأولى من بنية الحجاج الذي يعرفه بيرلمان أنه " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة، هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع" (الدريدي، ٢٠١١، ص٢١) (Aldridi, 2011, P21) (حمودة، ١٩٩٨، ص٢٩٩) (Hammouda, 1998, P299). أو هو " توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه، أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية" (الولي، ٢٠١١، ص١١) (Alwali, 2011, P11).

شهد القرن العشرين تناقض في التيارات، وتباين في الحاجات، نتيجة للحوادث السياسية والمد الفكري المتسارع، والتجديد الحثيث في وسائل الاتصال، وتلك التغيرات كفيلة بإنتاج الرأي، والرأي المضاد، وكفيلة أيضا بتنوع الآيدلوجيات، فضلا عن أنّ وعْي الإنسانية تشكّل بصورة مختلفة بعد التجربة النازية والفاشية، فانتبه الناس إلى حجم المخاطر التي تحيط بالإنسان وتهدّده، فاندفع الناس إلى اتخاذ موقف مدقّق من السياسة خصوصا، ومفاصل الحياة الأخرى عموما، وما رَكَزَ الحجاج في العصر الحديث محاولة الحفاظ على البنية الاجتماعية، والاقتصادية المؤديّة إلى ظهور الإشهار لترويج السلع الاستهلاكية (حمودة، ١٩٩٨، ص٤٢-٤٣) (Hammouda, 1998, P42-43) ، كلّ هذه العوامل وغيرها أدّت إلى إحياء الحجاج كونه وسيلة سلمية للضغط على المتلقي.

يعد كتاب (مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة) الذي أصدره رجل القانون (بيرلمان) مع اللسانية (لوسي تيتيكا)، تأسيسا للحجاج البلاغي، وتخليصا له من الخطابة والجدل، ليصوغا حجاجا عصريا يرفض المناورة المقرونة بالخطابة، ويرفض الاستدلال الصارم الذي يجعل المتلقي في وضع خضوع واستلاب(حمودة، ١٩٩٨، ص٢٩٨) (Hammouda, 1998, P298) ، ليبلغا حجاجا عصريا يقوم على " معقولية وحريّة، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، من أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك أن الحجاج ضد العنف بكل مظاهره" (حمودة، ١٩٩٨، ص٢٩٨) (Hammouda, 1998, P298) (الدهري، ٢٠١١، ص٦) (Aldahri, 2011, P6) ، ويرى بعض الدارسين أن للعلولمة بأبعادها ، االثقافية والاقتصادية أثرها في الحاجة إلى حجاج به تُمرّر الأفكار وتحدث الاستمالة، والحمل على الاقناع (صمود، ١٩٩٩، ص١٣٣) (Sumud, 1999, P133).

يركز الحجاج على الوحدات الثلاث (المرسل والرسالة والمرسل إليه)، فهو فعالية تداولية تتطلب وجود أطراف تواصلية تجمعهم قواسم حجاجية مشتركة (حمداوي، دون تاريخ، ص٢٦) (Hamdaoui, without date, P26)، فعلى الخطيب أنْ يتقن من المعرفة المتعلقة بأفكار، وميول وحاجات المتلقي ما يؤهّله من صوغ خطاب حجاجي يحاول به أن يحمل المتلقي على الاذعان، ولا يقوم الحجاج عند بيرلمان على التضليل، أو العنف لأنّ غرض الحجاج بناء الحقيقة بحوار مثمر بنّاء (حمداوي، دون تاريخ، ص٢٦) (Hamdaoui, without date, P26) ، وحدد موضوع دراسته فجعلها محصورة في " درس تقنيات الخطاب التي من شانها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن يزيد في درجة ذلك التسليم" (سلمان، ٢٠١٠، ص٨٤) (Salman, 2010, P84). ومعنى التقنيات في هذا التعريف هي الوسائل التي يستعملها المرسل لإيصال أفكاره إلى المتلقي، وهدف الحجاج هو " إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان " (الدريدي، ٢٠١١، ص٢٦) (Aldridi, 2011, P26) (الزماني، ٢٠١٢، ص٩٤) (Alzamani, 2012, P94).

تكمن مهمة الحجاج عند بيرلمان في " استعراض الأطروحات المتناقضة والمتعارضة، واستجلاء منطلقاتها المنطقية، والاستدلالية لمعرفة طابعها الإقناعي، أي : اختيار الحجج المقنعة، والمناسبة في موقف معيّن" (حمداوي، دون تاريخ، ص٢٧) (Hamdaoui, without date, P27) ،لذا كان لمفهوم التداخل المفهومي حضور بارز في نظرية الحجاج عنده؛ لأنّ الآليّات الحجاجيّة الموظفة في الخطاب تتطلّب حتْما رصد نسية الوعي عند المتلقي؛ لأن جمهور المتلقين ليس في منصّة واحدة في المرجعيات المعرفية، أو القدرات الإدراكيّة، وهذا ما يفرض على المُحاجج صوغ استدلالاته على وفق وعْي المستقبل (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٣، ج١، ص٨٧٧) (A group of authors, 2013, 1/877) ، وكان لبيرلمان محاولات تطبيقية، إذ قرأ مجموعة من النصوص الأدبية، والسياسية والقضائية باحثا عن تنوعات الوسائل الحجاجيّة (حمداوي، دون تاريخ، ص٢٨) (Hamdaoui, without date, P28) ، نتيجة لاهتمامه وبحثه عن "مظاهر جديدة من التواصل، والتجاوب(في المكتوب والمنطوق والاشهاري) يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم، والسامع والمقام معا، بحيث يحمل المنتج الجديد الخصائص الجوهريّة لهذه المكونات الثلاثة" (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٣، ج١، ص٨٨١) (A group of authors, 2013, 1/881).

يستمد الحجاج أصوله المعرفية من حقول متنوعة، فقد كان للدراسات الفلسفية التي أفرزت نظرية التواصل أثرها الفاعل في توفير المنطلق المعرفي الأول لصوغ نظرية متكاملة عن الحجاج، بتركيزها على الغاية الأساسية للغة، أما الأصل الثاني؛ فهو البلاغة القديمة، التي ركزت على الوحدات الثلاث لإبراز السمة التواصلية للغة، لضبط الوسائل المساعدة في إقناع المتلقي تعود نظرية الحجاج إلى الفلسفة الأولى عند السوفسطائيين، وكان الإقناع عندهم يعتمد على المراوغة في استمالة المتلقي باستعمالهم شتى الوسائل غير مهتمين بالحق، أو الباطل (بغورة، ٢٠٠٥، ص١٣) (Baghawra, 2005, P13) ، ومن ثم أعاد أرسطو صوغ هذا الفن في كتابه (الخطابة)، وتمثل التداولية الأصل الثالث من الأصول المعرفية التي اعتمدها الحجاج؛ لأنها تعنى في الاستعمال الفعلي للغة، أما الأصل الرابع ؛ فهو المنطق بوصفه معنيّا بتسنين القوانين المنظمة للفكر، ويمكن القول: إن التواصلية، والتداولية، والبلاغة، والمنطق صُهِرَتْ في قالب واحد فنتج الحجاج (الدريدي، ٢٠١١، ص١٥-١٦) (Aldridi, 2011, P15-16) (سلمان، ٢٠١٠، ص١٣) (Salman, 2010, P13).

- **سمات (خصائص) النص الحجاجي** (الدريدي، ٢٠١١، ص٢٦) (Aldridi, 2011, P26)

١- القصد المعلن – يقابله عند اللسانيين الوظيفة الإيحائية-: ومعناه إقناع المتلقي بفكرة معينة.

٢- التناغم: ومعناه عرض الفكرة المراد فرضها على المتلقي بأسلوب منتظم متسلسل، فالغاية من النص الحجاجي حمل المتلقي على الاقتناع بفكرة معينة ولا تجد هذه الغاية طريقها عند الإخلال بالتناغم.

٣- الاستدلال : يفهم من هذه السمة أن النص الحجاجي نصّ مُرتّب من طبقات استدلالية يعضد السابق منها اللاحق

٤- البرهنة: يتسم النص الحجاجي بقدرته على البرهنة، وكيفيتها الاستدلال على الفكرة المحور التي يريد المرسل إقناع المتلقي بها بواسطة الانطلاق من خطوات تعاقبية تنقل من خلالها المتلقي من مسألة منطقية مسلم بها إلى مسألة أخرى.

- **ملامح النص الحجاجي** (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٣، ج١، ص٧٩٨) (A group of authors, 2013, 1/798) (مدقن، ٢٠١٣، ص٥٠) (Madqin, 2013, P50)

١- يكون موجها إلى سامع حقيقي، أو افتراضي.

٢- يُعبّر عنه بلغة طبيعية (يتعلق هذا الملمح بثقافة المتلقي وعلم المرسل بهذه الثقافة)

٣- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية (بمعنى أن الفكرة التي يحتويها النص الحجاجي تمثل حقيقة نسبية، ولا تقع على درجة واحدة من القبول عند المتشاركين في الحديث، فيجب على المرسل أن يسوق الأدلة وان كان كلامه على شيء مسلم به)

٤- لا يفتقر مقدمة إلى ضرورة منطقية (بمعنى أن المرسل ملزم بسبك كلامه بطريقة منطقية ليصل بالمتلقي إلى الاقتناع)

٥- ليست نتائجه ملزمة (ليس بالضرورة أن يصل المتلقي إلى درجة الاقتناع ويكفي أن يصل إلى درجة الإقناع)

تدل ملامح الحجاج عند بيرلمان على أنه قراءة الواقع، والاعتماد على المعطيات النسبية التي يشترك بها الباثّ، والمتلقي والظروف السياقية، يشير بيرلمان أيضا إلى أهمية الحوار، وأثره الفاعل في العملية الحجاجية (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٣، ج١، ص٨٨٠) (A group of authors, 2013, 1/880) مؤكدا بذلك أنّ بنية الحجاج لا تسير بنفس الطريقة التي يحدث بها التواصل (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٣، ج١، ص٨٨٠) (A group of authors, 2013, 1/880) .

❖ **بنية (تقنيات) الحجاج**

تعتمد قوة الحجاج على نوع الحجة التي يستثمرها المرسل من أجل التأثير على المتلقي، وعلى طريقة انتظام هذه الحجة داخل الخطاب (سلمان، ٢٠١٠، ص٨٤) (Salman, 2010, P84)، وهذه التقنيات على ضربين: تقنيات الوصل، وتقنيات الفصل. يبنى النص الحجاجي على أصناف من الحجج الوصلية بحسب تقسيم بيرلمان (الدريدي، ٢٠١١، ص١٧٩، ١٩١) (Aldridi, 2011, P179, 191).

أولا: حجج شبه منطقية :

تمثل هذه الحجج منطقة وسطى بين المنطقية واللا منطقية، بمعنى أن هذه الحجج ليست منطقية، ولكنها تستند إلى معطى منطقي. كعلاقة التطابق او التعدية... وهي بحسب بيرلمان تدعي قدرا من اليقين لشبهها بالاستدلالات المنطقية، وتقسم على:

أ- حجة عدم الاتفاق:

ومعناها أن يستوقف المرسل المتلقي أمام شيء وضده فيفرض عليه الإذعان إلى أحدهما؛ لأن الجمع بينهما يقتضي التناقض، ومثاله أن يواجه المرسل المتلقي بادعاء هو يخالفه، كقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع

ب- حجة التماثل والحد(التعريف):

ومعناها أن يبثّ المرسل في رسالته تعريفا لأمر مسلّم به عند المتلقي، فتحدث الإشارة ضمنا إلى أن الفكرة المراد إقناع المتكلم بها لا تخرج عن هذا التعريف، ومنه قول الشاعر:-

الخيرُ خيرٌ وإنْ طال الزمان به والشرُّ أخبث ما أوعيت من زاد

فهو يروم في هذا البيت أن يبلغ المتلقي بأن الصفات الحميدة ثابتة لا تتغير

ج- حجة التبادل:

ومعناها التذكير بأنّ ما تمرّ به مرّ به غيرك أيضاً، ومنه قول الخنساء وهي ترثي صخرا:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

فالشاعرة تواسي نفسها بفكرة أن ما مرّ بها من فقد الأحبة قد مرّ بغيرها أيضا فيسكن بذلك جزعها.

ثانيا: حجج شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية:

تعتمد هذه الحجج على قواعد رياضية، وتقسم على:

أ- حجة التعدية:

ومعناها أن تقنع المتلقي بفعل، أو قول؛ لأن هذا الفعل، أو القول مرتبط بغيره، ومثال ذلك: صديق صديقي صديقي، فالسبب في اتخاذ الشخص الذي لا تعرفه صديقا لأنه صديق صديقك، ومنه قول الشاعر:

قد لامني عند القبور على البكا رفيقي لِتذْرافي الدموع السوافك
فقال أتبكي كلّ قبر رأيته ؟ لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعْني فهذا كلّه قبر مالك

إن الشاعر يبكي عند كل قبر ليس لمعرفة صاحب القبر؛ ولكن لأنها تذكّره بقبر أخيه، وقد اتخذ الشاعر من هذا الربط حجة على صاحبه .

ب- حجة تقسيم الكل إلى أجزاء:

ومعناها أن نقسم الكل إلى أجزاء، والحكم الذي يحمله جزء ينسحب على الكل، ومثاله أن تذكر مفخرة لرجل واحد من القبيلة فتنال فضل هذه المفخرة القبيلة كلها.

ج- حجة إدماج الجزء في الكل:

ومعناها أن ما يلحق الكل يلحق الجزء، ومنه قول الشاعر:-

وإني من القوم الذين همُ همُ إذا مات منهم سيّد قام صاحب

فالشاعر يريد أن يقنع المتلقي بمكانته، لأنه ينتسب إلى قوم هذه حالهم.

ثالثاً: حجج مؤسّسة على بنية الواقع:

وهي الحجج التي يُحمل بها المتلقي على الاقتناع؛ لأنها تستند إلى أسباب واقعية، كالتجربة والعلاقات بين الاشياء، بمعنى انها وسيلة ربط بين عناصر الواقع وتقسم على:

أ- حجة التتابع:

وهي حجة مبنية على تتابع الأحداث، وترابطها بسبب يستند على أساس الواقع، ومثال ذلك قولك : أخفقت في الامتحان؛ لأنني مرضت قبل موعد الامتحان مرضا شديدا، فحجة المرض الشديد حجة واقعية تجعل من المتلقي يعذره في إخفاقه، ومنه قول الشاعر:

بانت صَدوفُ فقلبه مخطوفُ ونأتْ بجانبها عليك صدوفُ

واستبدلت غيري وفارق أهلها إن الغنيّ على الفقير عنيفُ

ب- حجة السلطة:

ومعناها أن يؤثر المرسل في المتلقي ويحمله على الإقناع، بسبب شخصيته البارزة كأن يكون ذا علم، أو ورع، أو يكون سيّدا شريفا في قومه، ومنه قول الشاعر:

أنا ابن ورقاء لا تُخشى غوائله لكنْ وقائعه في الحرب تُنتظر

ج- حجة الغائية:

ومعناها أن تسوّغ عملا قمت به بحجة تجعلها سببا لهذا العمل، ومن ذلك ما نقل القرآن الكريم عن المشركين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فالمشركون احتجوا بغاية يرونها مقبولة لتسويغ عملهم غير المقبول، ومنه أيضا قول الشاعر:

فكأنه في الحسن صورة يوسف وكأنني في الحزن مثل أبيه

فقد واجه الشاعر ملامة اللائمين بحجة أن جمال من أحب يماثل ببهائه جمال يوسف.

رابعاً: حجج مؤسسة لبنية الواقع:

وهذه الحجج مُتخيَّلة مُفترضة، وتقسم على قسمين:

أ- حجة تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة:

يؤسّس بها المرسل واقعا غير موجود بالنسبة إليه، أيْ : أنه لم يعشْه، ومنه قول الشاعر:

وكنتُ إذا العظيمة أفظعتهم نهضْتُ ولا أدُبّ لها دبيبا

ب- حجة التمثيل:

وهي حجة قائمة على العلاقة بين طرفي الموضوع، ومنه قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(سورة العنكبوت: ٤١) (Surat Al-Ankabut: 41) فالعلاقة بين العنكبوت وبيتها تشبه العلاقة بين المشركين وأوليائهم، من حيث إنها اتخذت من هذا البيت الضعيف عاصما لها، والمشركين اتخذوا أولياءهم عاصما لهم من دون الله.

خامساً: الحجج التي تستدعي القيم:

وهي حجج يبثّها المرسل مع الأمر الذي يريد إقناع المتلقي به، وبما أن القِيم مُسلمات عند المتلقي، فإنّ هذا التسليم يُحدِث أثره بوصله بالأمر المراد إقناع المتلقي به، ومثال ذلك أنْ تقول لأحدهم: الإسلام يفرض عليك أنْ تصِلَ رحمك، فهو كلام أوقع في النفس من قولك صل رحمك، وذلك لأنك استدعيت قيمة تجعله يفهم أنه في دائرة الإسلام مادام يصل رحمه.

أما تقنية الفصل؛ "فهي تلك الطريقة التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينهما" (سلمان، ٢٠١٠، ص١٠٢) (Salman, 2010, P102)، ومثال ذلك أنْ نقول : هذا الإنسان ليس بعاقل، فيتمّ الفصل بين الإنسان، والعقل على الرغم من أنهما وحدة واحدة، لكن هذا الفصل يعني أنّ هذا الإنسان جاء بتصرف فيه خرق لعادة أخلاقيّة مثلا أو اجتماعية (سلمان، ٢٠١٠، ص١٠٣) (Salman, 2010, P103).

المبحث الثاني: تقنيات الحجاج في شعر الدكتور مشتاق عباس معن

للذوات الحجاجيّة في بنية الخطاب جدليات تتوخى البرهنة، وتحاول جاهدة حمل المتلقي، او استمالته لفكرة ما، فالنص الحجاجي منفتح الأنساق يطلّ من نافذة اللغة الى مختلف العواطف، والاحاسيس والآيدلوجيات، وبهذا تكون "القصيدة نصا غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي" (الخضور، ١٩٩٥، ص١٠٧) (Alkhudur, 1995, P107) ، سنعرض في هذا المبحث بعض النصوص الشعرية على التقنيات الحجاجية، لنكتشف مدى فاعليتها، ونجاعة توظيفها اللاإرادي او الإرادي في جعل الخطاب اكثر استمالة للمتلقي

❖ **الحجة المبنية على الواقع**

يعتمد هذا النوع من الحجج على تجارب واقعية، وقد استثمر الشاعر هذه الحجة ليحمل المتلقي على الاقتناع، قال الشاعر (معن، ٢٠١٠، ص١٥٦) (Maen, 2010, P156):

آمنت بالشيخ

ذلك الرفيق القديم

قال لي:

إياك أنْ تخفق الروح

بالوجد من أجلها

فالقدس يا ولدي

إنْ لم تجدْ من يقيها تموت

يتكون فضاء القصيدة من حواريّة بين شخصين ، هما: الشيخ الناصح، والشاعر المُحب، وقد أراد الشيخ أن يضع حدّا لهذا الحب الذي أخذ الشاعر وتمكن منه، لكنّ هذا الشاعر الغارق في حبه، لا يكفيه محض النهي ليترك حبّه او يهجر محبوبه، فعمد الشيخ إلى حجّة تستند إلى واقع معروف، فيجعل هذه الحجّة هي المعادل الموضوعي لما يمرّ به الشاعر العاشق، فروح الشاعر تقابل القدس، وذات الشاعر تقابل الذي يقيها من الموت، وينتج من هذا أن قناعة الشاعر بالواقع الصارم الذي فرضه عليه الشيخ تنسحب على تجربته، فيحدث بهذا أثر في نفسه (المتلقي). ومنه أيضا قول الشاعر (معن، ٢٠١٠، ص٨٧-٨٨) (Maen, 2010, P87-88):

يا بحر أجهده الماء

وظمي أجهده المنهل

كم ستسوي:

مهج الآه... صحن إلاه

يا أنت... البحر

يا أنت... السكر

يا أنت ... الله

يا أنت ... الله

يختم الشاعر قصيدته، بقوله: يا أنت ... الله ، وهو قول أراد الشاعر به أن يبلغ معنى بواسطة تحرك الدال، ولكن هذا القول لا يتوافق مع الثقافة الفكرية لمجتمع الشاعر، وربما لا يتوافق مع أي مجتمع – لكن هذا التركيب اكتسب مشروعيته بحجة مؤسسة على بنية الواقع، وظفها الشاعر في مطلع قصيدته، وهذه الحجة قول الحلاج: **(من لم يقف على إشاراتنا لم ترشده عباراتنا)**، فمن يقرأ هذه العبارة في بداية القصيدة يتوقع الإشارة، ولا يقف عند حرفية العبارة، وبهذا يقود المرسلُ المتلقي إلى التسليم بجواز هذا التركيب، وإنْ لم يفهم معناه.

❖ **حجج مؤسسة للواقع(حجة التمثيل)**

وتعني وجود علاقة شبه بين الفكرة التي يبثّها المرسل في رسالته، وبين أمر آخر مُسلّم به في ذهنية المتلقي، وقد استثمر الشاعر هذه الحجّة في قوله (معن، ٢٠١٠، ص٦٥) (Maen, 2010, P65):

رفيقي

تهادى

فما هذه فسحتك

فالنجوم التي تعشق الليل

لا يرضيها النهار

والغصون التي طأطأت رأسها

لا تحبّ الثمار

يوجّه الشاعر رسالته إلى رفيق يحاول أنْ يظهر في فضاء اجتماعي معيّن، فالمقصود إقناع المتلقي بالابتعاد عن الادعاء بالمقام المحمود في عرف الناس لأنه لا يستحق الدخول فيه، فبدا للشاعر أن هذا المكان لا يناسب رفيقه، فنهاه عنه، ولكن هذا النهي اتخذ سبيلا حجاجيا، في محاولة تحقيق الإقناع عند المتلقي، إذ بطّن الشاعر نقده بأساليب حجاجية تتسم بطابع التوجيه تفرض على المتلقي النظر والتأمل ، فتحبس ردّة الفعل المتوقعة من شخص يواجه نقدا، وأوّل ملمح حجاجي عمد إليه الشاعر هو كلمة (رفيقي) إذ وظف الشاعر بعدها الدلالي؛ ليجعل منها منفذا يتسرب معه نقد الشاعر إلى صديقه(المتلقي) فهو حينما خاطبه برفيقي وجه ذهن المتلقي إلى الآصرة الرابطة بينهما، وهي آصرة ألفة ومحبّة فجعل المتلقي ينطبع في ذهنه أن المتحدث ناصح له، فيسكن لسماعه، وبعد ذلك صرّح الشاعر بنقده في إطار حجاجي، فلو أنّ الشاعر توقّف عند قوله: فما هذه فسحتك، فربما فهم المتلقي أنه لا يستحق هذا المكان، لكنه حينما أكمل كلامه بقوله: فالنجوم التي تعشق الليل لا يرضيها النهار، أوصل الشاعر المتلقي إلى فكرة مفادها أنك المعادل الموضوعي للنجوم، وأن الفسحة التي ظهرت فيها هي النهار، وأن الأمور يجب أن توضع في نصابها، وبهذا يكون تشبيه المتلقي بالنجوم يشعره بثمنه وقيمته الحقيقية، وبهذا تنسحب قناعته بمكان النجوم الحقيقي على مكانه الحقيقي في الفسحة التي يجب أن يظهر بها.

ومنه أيضا قوله (معن، ٢٠١٠، ص١٦٨) (Maen, 2010, P168):

(أوّاه كم ينزف هذا الغريب أحلامه)

يريد الشاعر أن يجعل المتلقي يتذوق ألم الغربة ومرارة ضياع الحلم، فاستثمر حجة الفصل بين اللفظ ، وما يتساوق معه، أو لنقل بين اللفظ وما يتوارد معه معجميا، فقول الشاعر: ينزف الغريب أحلامه، يحمل المتلقي العارف الى الربط بين الدلالات، فالأحلام تنتهي وتتبدّد، لكنها لا تنزف، فالفعل نزف يستدعي دما، لكن الشاعر حينما أسند النزيف إلى الأحلام جعل المتلقي يستحضر الألم الناتج عند نزيف الدم فيرتبط هذا الشعور بفقد الأحلام، وأن لفقد الأحلام الما لا يقلّ عن ألم النزيف.

ومنه قول الشاعر (معن، ٢٠١٠، ص٢٥٧) (Maen, 2010, P257):

قريتي ...

لملمي ما تبدّى ...

فكل العقود تموت ...

إذا انفرطت ...

يحاول الشاعر أن يقول: إن القرية تمثل وحدة متسلسلة ويريد لهذا القول أن يأخذ مكانه الإيجابي عند المتلقي فيحمله على الإقناع، ليشعره بثمن هذه الوحدة فيمثّل الشاعر القرية بالعقد الذي ينتظم اللؤلؤ في سمطه فيحدث عند المتلقي ربطًا أوليًا وهو تمثيل القرية بالعقد الذي تنتظم خرزاته، ثم ينقله بعد هذا التسليم أو الربط الأولي إلى مرحلة ثانية تتحقق فيها فكرة الشاعر التي أراد إقناع المتلقي بها، وهي أن القرية المتحدة في أفكارها، وأهوائها تشبه العقد المنتظم، والقرية المتفرقة التي فرقتها الأهواء تشبه العقد المنفرط.

❖حجة تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة

تقوم هذه الحجة على صناعة واقع متخيل أو مفترض، ومنه قول الشاعر (معن، ٢٠١٠، ص٦٥) (Maen, 2010, P65):

بعدما

ضللتني القافلة

أوهمتني خطواتي أني الدليل

وطريقي ينحني كي يستدير

... فحرثت الأرض، أبذرت الخطى فوق ثراها

وطريقي يستدير

يحكي الشاعر قصته مع قافلة كان جزءا منها لكنه انفصل عنها وتوحي كلمة (ضللتني) أن هذا الانفصال حدث على مستوى الفكر والمادة، فنهض الشاعر بواقعه الخاص، فواصل طريقه، وبعد أن كان تابعا في قافلة أصبح وحده يمثل قافلة، ويؤكد الشاعر قدرته على النهوض بهذا الأمر بقوله: (فحرثت الأرض، أبذرت الخطى فوق ثراها)، فيستثمر حجّة الاستدلال بالحالات الخاصة المؤسّسة لبنية الواقع؛ لما لها من أثر في حمل المتلقي على الإقناع، وفي مقطع لاحق، يقول الشاعر (معن، ٢٠١٠، ص٨٨) (Maen, 2010, P88):

وأنا ما بين أنْ ألثم درب الشام

أو دروب الجنوب

صفعتني الكوفة، المنسوج في أطرافها النخل، وأسراب الفرات

وبها

لدغتني لسعة الأشتر

يتحدث الشاعر في هدا المقطع من القصيدة عن الوجهة التي يسلكها، والسبيل الذي يتّخذه ليكمل طريقه بعد أن اختار له طريقا مخالفة عن طريق القافلة، وهنا تظهر البنية المكانية حجة مؤسسة على الواقع، توافر مساحة من الاقناع بما تستثيره هذه البنية المكانية من شخوص تأريخية ارتبط اسم المكان بها، وارتبطت به، فيسوّغ الشاعر مشروعية توجّهه نحوها، فالشاعر بين خيارات ثلاث : درب الشمال ودرب الجنوب والكوفة، وقد اختار الشاعر درب الكوفة، هذه الحاضرة التي ارتبط اسمها باسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولا يخفى أن توظيف اسم العلم(الأشتر) يعطي بعدا حجاجيا في تسويغ مشروعية الشاعر في التوجه إلى الكوفة دون غيرها من الدروب المحتملة، لما لهذا الاسم من مكانة ذهنية تستدعي جذب واستمالة المتلقي، فتحمله على الاقتناع بأرجحية الوجهة التي اختارها الشاعر.

الخاتمة

تسعى نظرية الحجاج إلى الكشف عن التقنيات التي تجعل من الخطاب حجاجا، تقريب وجهات النظر بين المرسل، والمتلقي بتوظيف النسق الثقافي الذي يحكم طرفي الخطاب (المرسل و المتلقي)، ويكون هذا النسق الثقافي هو الأساس الذي تبنى عليه بنية الحجاج، ومن خلال النظر في شعر الدكتور مشتاق عباس معن من زاوية حجاجية تبين ما يأتي:

- وظّف الشاعر شتى الأنماط الحجاجية في متنه؛ لينفذ منه إلى ذهن المتلقي، ويبلغ الأثر المرجو من حمله على الاقتناع.
- بدا التركيز على النسق الثقافي جليا في المتن الشعري، إشارة إلى وعي الشاعر بحمولة هذا النسق، وضرورة توظيفه.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم .**
- بغورة، الزواوي (٢٠٠٥) : الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى.
- حمداوي، د. جميل (دون تاريخ) : نظريات الحجاج، (دون مكان طبع).

- حمـود، د. حمـادي (١٩٩٨): أهـم نظريـات الحجـاج فـي التقاليـد الغربيـة مـن أرسـطو إلـى اليـوم، جامعة تونس.
- الخضـور، جمـال الـدين (١٩٩٥): زمـن الـنص: الـزمن وتفكيـك الوحـدة الآيدلوجيـة للـنص، حركيـة الزمن الايدلوجي المعرفي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ، الطبعة الأولى.
- الدريـدي، أ.د. سـامية (٢٠١١): الحجـاج فـي الشـعر العربـي، بنيتـه، وأسـاليبه، عـالم الكتـب الحديث ، الطبعة الثانية.
- الـدهري، أمينـة (٢٠١١): الحجـاج وبنـاء الخطـاب، فـي ضـوء البلاغـة الجديـدة، شـركة النشـر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
- الزمـاني، د. كمـال (٢٠١٢): حجاجيـة الصـورة فـي الخطابـة السياسـية لـدى الإمـام علـي (عليه السلام)، عالم الكتب الحديث الطبعة الأولى.
- سـلمان، د. علـي محمـد علـي (٢٠١٠): كتابـة الجـاحظ فـي ضـوء نظريـات الحجـاج (رسـائله نموذجا)، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى .
- شـاردو، باتريـك (٢٠٠٩): الحجـاج بـين النظريـة والأسـلوب، ترجمـة: د. أحمـد الـودرني، دار الكتب الجديدة المتحدة ، الطبعة الأولى.
- صمود، حمادي (١٩٩٩): من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر، تونس.
- مجموعـة مـن المـؤلفين (٢٠١٣): الحجـاج، مفهومـه ومجالاتـه، دراسـات نظريـة وتطبيقيـة محكمـة فـي الخطابـة الجديـدة، تحريـر واشـراف: حـافظ اسـماعيل علـوي، ابـن النـديم للنشـر، والتوزيـع، دار الروافد الثقافية، ناشرون ، الطبعة الأولى.
- مـدقن، د. هـاجر (٢٠١٣): الخطـاب الحجـاجي، انواعـه وخصائصـه، قـراءة فـي كتـاب المسـاكين لـ(الرافعي)، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى.
- معـن، د. مشـتاق عبـاس (٢٠١٠): الأعمـال الشـعرية الورقيـة غيـر الكاملـة ، دار الفراهيـدي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، بغداد.
- الـولي، د. محمـد (٢٠١١): مـدخل إلـى الحجـاج، (بحـث) مجلـة عـالم الفكـر، العـدد ٢، المجلـد ٤٠.

References:

- **The Holy Quran**

- A group of authors (2013): Al-Hajjaj, its concept and its domains, rigorous theoretical and applied studies in the new rhetoric, edited and supervised By: Hafiz Ismail Alwi, Ibn Al-Nadim Publishing and Distribution, Dar Al-Rawafid Cultural, Publishers, first edition.

- Al-Dhahry, Amina (2011): Pilgrims and Building Discourse, in the Light of New Rhetoric, The Schools Publishing and Distribution Company, Casablanca, First Edition.

- Aldridi, Prof. Dr. Samia (2011): Pilgrims in Arabic Poetry, Its Structure, and Methods, The Modern Book World, 2nd edition.

- Al-Khadour, Jamal Al-Din (1995): The Time of the Text: Time and Dismantling the Ideological Unit of the Text, The Knowledge-Ideological Movement, The House of Harvest for Publishing and Distribution, Damascus, Syria, First Edition.

- Alzamani, Dr. Kamal (2012): Pilgrimage of the image in the political rhetoric of Imam Ali (peace be upon him), the modern book worlds first edition.

- Baghawra, Al-Zawawi (2005): Philosophy and Language, Criticism of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy, Al-Zawawi, Bajoura, Dar Al-Taleah, Beirut, first edition.

- Hamdaoui, Dr. Jameel (without history): pilgrims theories, (without a place to print).

- Hammoud, Dr. Hammadi (1998): The most important theories of pilgrims in Western traditions, from Aristotle to the present, University of Tunis.

- Maan, Dr. Mushtaq Abbas (2010): Incomplete Paper Poetic Works, Dar Al-Farahidi Publishing and Distribution, First Edition, Baghdad.

- Madqin, Dr. Hajar (2013): Pilgrim's Discourse, Types and Characteristics, Reading in the Book of the Miserable (Al-Rafii), Difference Publications, First Edition.

- Salman, Dr. Ali Muhammad Ali (2010): Al-Jahiz's writing in the light of the pilgrims' theories (his letters as an example), Dar Al-Faris for Publishing and Distribution, first edition.

- Sammoud, Hammadi (1999): A manifestation of rhetorical rhetoric, Carthage Publishing House, Tunisia.

- Shardu, Patrick (2009): Pilgrims between theory and style, translation: Dr. Ahmed Al-Wadrani, United New Books House, First Edition.

- The guardian, Dr. Muhammad (2011): An Introduction to Pilgrims, (Research), Alam Al-Fikr Magazine, No. 2, Volume 40.

The Rhetorical argumentation
(Applied and Concept)

Adnan Dawood Abdulhassan
Ministry of education - Directorate of third – Al russafa
Adnandawood422@gmail.com

Abstract

Argumentation considers a cultural concept that moves in a systematic bond of the speaker and the audient surrounding environment, and that what demand renewing the concept and regulate its techniques.

This research had bind (The rhetorical argumentation) at (Perelma and Tytica) as applied or as a concept in a poetic text to allocate the argumentative features in it. It is obvious that a poetic texts have privileged efficacious nature which contribute effectively in allocating the kinds of (Rhetorical argumentation) techniques.

Key words: **Rhetorical argumentation – techniques – Perelman - conviction**